

١٠ - الموقف عند انتهاء القتال

عندما توقف القتال يوم ٢٨ اكتوبر ، كانت قواتنا فى سيناء بحجمها - الجيشان الثانى والثالث - فى أوضاع عسكرية سليمة ، ولديها من الأسلحة والمعدات والذخيرة ما يجعلها قادرة على القتال طويلا . وفى غرب القناة كانت قواتنا تحتوى القوات الإسرائيلية وعلى اتصال بها .

وكانت القوات الإسرائيلية فى سيناء تقف دون تأثير فى مواجهة قوات الجيشين . وفى غرب القناة فشلت محاولاتها لتهديد مدينة الاسماعيلية أو احتلال مدينة السويس ، ولكنها تمكنت من قطع طريق مصر السويس الصحراوى وهو الطريق الرئيسى لإمداد مدينة السويس وقوات الجيش الثالث الموجودة فى سيناء شرق القناة .

وأصبحت القوات المعادية فى غرب القناة نزيفاً لإسرائيل ، وليس فى قدرتها تحقيق أى هدف آخر فإن خسائرهاتتزايد ، وإخلاء الخسائر لا ينقطع ، والامداد لا بد وأن يستمر من ثغرة الدفرزوار وعرضها حوالى سبعة كيلو مترات أو يتم الامداد بالطائرات ، وتتخذ القوات الإسرائيلية أوضاعا دفاعية فى انتظار الهجمات المصرية ضدها فى أى وقت ومكان واتجاه ، وكانت تتوقع أن يتم القتال لفتح طريق مصر السويس بمعرفة القوات المصرية . وكانت هذه القوات فى موقف لا تتمكن فيه من العودة إلى شرق القناة ، ولا تتمكن من تحقيق نجاح آخر غرب القناة .

ومن الواضح من سير القتال غرب القناة ، أن القيادة الإسرائيلية كانت تهدف إلى تحقيق أهداف عسكرية سياسية إستراتيجية .

فقد كانت تهدف إلى الاستيلاء على إحدى المدن الرئيسية فى منطقة القناة ، وهما الاسماعيلية أو السويس بهذه الأسبقية . وكان ذلك يحقق لها مكسبا سياسيا ومعنويا ضخما ، ويشكل ضغطا سياسيا وعسكريا ومعنويا كبيرا على مصر . ولكن النتيجة أن القوات الإسرائيلية فشلت فى اتجاه الاسماعيلية أمام القوة العسكرية المصرية ، كما فشلت فى اتجاه مدينة السويس أمام المقاومة الشعبية بالتعاون مع القوة العسكرية المحدودة التى كانت بها .

ومن الناحية العسكرية الإستراتيجية ، كانت إسرائيل تهدف إلى إجبارنا على سحب بعض قواتنا الرئيسية من سيناء ، مما يتيح لها فرصة مهاجمة قواتنا فى شرق القناة واستعادة الأوضاع التى كانت عليها صباح يوم ٦ أكتوبر ، وهذا يعنى تصفية المكاسب العسكرية المصرية . وفشلت إسرائيل فى تحقيق هذا الهدف الإسراتيجى ، وإن كانت نجحت فى تحقيق نجاح تكتيكى - قطع طريق مصر السويس الصحراوى - بعد صدور القرار ٣٣٨ لمجلس الأمن بوقف النيران ، وانتهاكها لخطوط ٢٢ أكتوبر .

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أن إسرائيل ، بعد فشلها فى تحقيق أى هدف استراتيجى من قتالها غرب القناة ، قد ركزت دعايتها والطنطنة بنجاحها التكتيكى حتى حولته إلى كسب معنوى . وكان من الطبيعى أن تستغل أمريكا هذا الموقف فى الجهود السياسية التى قام بها الدكتور كسنجر فى أعقاب الحرب .

لقد ركزت وسائل الإعلام الإسرائيلية والأجنبية على نجاح الجيش الإسرائيلى فى عمل الثغرة (معركة الدفرزوار) لابراز نجاح إسرائيل فى هذه المعركة وفى قتالها غرب القناة . وكان من الواجب علينا فى مصر أن تكون هناك حملة إعلامية مضادة توضح حقائق الموقف المصرى وكذا الموقف الإسرائيلى بايجابيات وسلبيات كل منهما ، ولكننا لم نفعل ذلك مما أدى إلى زيادة اهتمام الرأى العام هنا وهناك بموضوع الثغرة . وهذه كانت مسئولية القيادة العامة ، إلا أننا لم نعط الأمر - حينئذ - الاهتمام الواجب .

وكان الفريق أول أحمد اسماعيل صادقا فى حديث له نشر فى جريدة الأهرام يوم ١٨ نوفمبر ١٩٧٣ ردا على سؤال حول هذا الموضوع ، وكان رده[1] « إن علاجنا

(١) حديث الفريق أول أحمد إسماعيل مع الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام - صحيفة الأهرام يوم ١٨/١١/١٩٧٣ - عن موضوع الثغرة .

لهذه الثغرة من ناحية البيانات العسكرية لم يكن على النحو الذى تمنيته ، والتزمت به من أول لحظة فى الحرب ، وهو ألا نقول غير الحقيقة . وإننى لم أقصد فى أى لحظة أن أقول فيما يتعلق بهذه الثغرة أو أسمح لغيرى أن يقول شيئا غير الحقيقة .

ومعنى ذلك أن ما قلناه عكس فى معظم الأحيان صورة ما كنا نراه . وأعترف أن رؤيتنا للصورة كانت مهتزة لأسباب عديدة ، ولكننا حاولنا أن نعبّر عن ما نراه » .

□ □ □

ولا بد من التأكيد أن ذلك النجاح التكتيكى الذى حققته إسرائيل فى معركة الدفرزوار (الثغرة) قد خلق أوضاعاً إستراتيجية غير ملائمة للقوات الإسرائيلية ، كان من المؤكد أن تؤدى إلى فشل استراتيجى محقق إذا ما أستؤنفت أعمال القتال النشطة مرة أخرى ، بعد تكوين التجميعات المصرية الملائمة .

فبعد أن نجحت إسرائيل فى عمل الثغرة ، وبعد أن تقرر وقف إطلاق النار بالقرار ٣٣٨ على خطوط ٢٢ أكتوبر ، كان من الضرورى على القيادة الإسرائيلية أن تؤمن قواتها الموجودة فى غرب القناة فى قطاع محدود من الأرض ، وذلك بالانتشار والاستيلاء على مساحة أكبر من الأرض . واستتبع ذلك دفع قوات أكبر إلى غرب القناة .

ونتج عن ذلك أوضاع إستراتيجية غير ملائمة لإسرائيل :

١ – فقد أصبح لها قوات كبيرة (حوالى ٦ – ٧ ألوية) موجودة فى منطقة محدودة من الأرض ، ومحاطة من جميع الجهات إما بموانع طبيعية أو صناعية أو بقوات مصرية ، الأمر الذى وضعها فى موقف عسكرى ضعيف . علاوة على ذلك ، فقد كانت هناك مصاعب الإمداد والاخلاء وطول خطوط المواصلات ، والاستنزاف اليومى للأفراد والمعدات .

٢ – ولتأمين تلك القوات ، خصصت القيادة الإسرائيلية قوات أخرى (٤ – ٥ ألوية) لحماية المداخل إلى الثغرة عند الدفرزوار .

٣ – ولتثبيت رءوس الكبارى المصرية الموجودة فى سيناء ، خصصت القيادة الإسرائيلية عشرة ألوية فى مواجهة رءوس كبارى الجيشين الثانى والثالث . بالاضافة لذلك فقد أصبح من الضرورى الاحتفاظ بالاحتياطى الاستراتيجى فى أقصى درجات التعبئة .

٤ – بهذا كانت إسرائيل مضطرة للاحتفاظ بتعبئة كل قواتها المسلحة والدولة لمدة طويلة إلى أن تنتهى الحرب ، لأن توقف القتال ليس معناه إنتهاء الحرب . ولا شك أن ذلك يتعارض تماما مع نظرياتها العسكرية ، ولا يتحمله اقتصادها القومى .

وبرغم وصول قوات الطوارىء الدولية للمنطقة بقيادة الجنرال سلاسفيو لمراقبة تنفيذ وقف إطلاق النار ، إلا أن حرب استنزاف قد بدأت غرب القناة حتى لا تعطى قواتنا أى فرصة للقوات الإسرائيلية لتثبيت أقدامها فى مواقع دفاعية ، وكذا تكبيدها أكبر خسائر ممكنة فى الأفراد والمعدات إلى أن يحين الوقت المناسب لمهاجمتها . وقد حدث ٤٥٢ اشتباكاً بالنيران منذ إيقاف إطلاق النار بقرار مجلس الأمن رقم ٣٤٠ حتى توقيع اتفاقية فض الاشتباك الأول بين مصر وإسرائيل ، وهى الاتفاقية التى نجح كسنجر فى تحقيقها .

وفى النهاية ، فقد تحولت القوات الإسرائيلية الموجودة غرب القناة من سلاح تضغط به علينا ، إلى رهينة نضغط بها نحن على إسرائيل ، ومصدر استنزاف لأرواح ومعدات واقتصاد إسرائيل . وجاء الاتفاق المصرى الإسرائيلى للفصل بين القوات ، وظهرت حقيقة « الثغرة » عندما طلبت إسرائيل ترك الثغرة وسحب قواتها شرقاً بعيداً عن القناة .